

١٣٩٦ م ، أو إن شئت شغلت قمة القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي . وكانت الأحداث السياسية في هذه الفترة من أشد أحداث المملكة النصرية اضطراباً ، وكان المناخ في غرناطة شديد الشبه جداً بما كان عليه في قشتالة نفسها (٢٩) .

وإذا ألقينا نظرة عجلة على تاريخ هذه الفترة وجدنا فيها : مملكة محمد الثالث وسياسة الاستعمارية ، وتدخل المرينيين ، ثم حكومة نصر (١٣٠٩ - ١٣١٤ م) ، واحتلاله مدينة سبتة ، حصار فرناندو الرابع في أيامه مدينة الجزيرة الخضراء ، واستيلاءه على جبل طارق ، وفي هذه الأيام أيضاً حاصر خاتمة الثاني مدينة ألمرية ، وهو حادث لا بد أن شاعرنا عرفه ولما يزل صبيّاً . وحكومة إسماعيل الأول (١٣١٤ - ١٣٢٥) ، والتدخل في سياسة الأميرين خوان وبدور الوصي على ألفونسو الحادي عشر . وعصر محمد الرابع (١٣٢٥ - ١٣٣٣ م) ، والذي اغتيل بعد أن احتلت قوات ألفونسو الحادي عشر جبل طارق ، والأحداث الهامة التي وقعت في سنوات أبي الحجاج يوسف (١٣٣٣ - ١٣٥٤ م) ، ومحمد الخامس (١٣٥٤ - ١٣٩١ م) ، وأدرك ابن خاتمة سنوات ملكه في قمة نضجها . إنه العصر الذي حدثت فيه وقعة طريف ، أو معركة سلا دو كما تسميها المصادر الإسبانية ، وحصار جبل طارق ، وشهد موت ألفونسو الحادي عشر ضحية وباء الطاعون الذي وصفه لنا ابن خاتمة في رسالة من أشهر مؤلفاته . وشهد ألواناً من النضال ومن الاضطرابات ومن الرذائل فاض بها عصر محمد الخامس ، وقد عزله عن العرش أخواه إسماعيل ومحمد البرميخو (١٣٥٩ - ١٣٦٢ م) ، ونفى محمد الخامس إلى المغرب ، ثم عودته مع وزيره لسان الدين ابن الخطيب . كان عصر كفاح ومناخاً فياضاً بالانفعال . وفيه ارتفعت الحمراء ، وبنى بدور القاسي قصره Alcàzar في إشبيلية ، وبدأ الأدب الأندلسي على الرغم من توهج أشكاله اللامعة ، المطرزة بألوان البلاغة الفخيمة ، يأخذ طريقه نحو الانحدار والسقوط في وضوح ، وولد الأدب القشتالي ، وكات متأثراً

(٢٩) للمزيد عن مملكة غرناطة انظر الدراسة المتنازة التي قامت بها راشيل أرييه : أسبانيا الإسلامية في عصر بني نصر (١٢٣٢ - ١٤٩٢) ، باريس ١٩٧٣ . ولدراسة عصر محمد الخامس انظر : مملكة غرناطة في عصر محمد الخامس ، لأحمد مختار العبادي ، مدريد ١٩٧٣ .